

المنهج الإسقاطي الإستشراقي واثره في عقيدة التجسيم والتشبيه

The Orientalist Projectionist Methodology and Its Influence on the
Doctrines of Anthropomorphism and Divine Resemblance

محمد عبدعلي كاظم حمزة، جامعة بابل/ كلية العلوم الاسلامية .

تاريخ الاستلام: 2026/5/28 تاريخ القبول: 2026/6/17 تاريخ النشر: 2026/6/24

ملخص البحث: إن مفهوم المنهج الإسقاطي في الدراسات الاستشراقية، هو أسلوب تحليلي يعتمد على إسقاط الخلفيات الفكرية والدينية والثقافية للباحث الغربي على النصوص والتراث الإسلامي عند تفسيرها. ويظهر هذا المنهج بوضوح في تناول بعض المستشرقين لمسائل العقيدة، وخاصة موضوع الصفات الإلهية وما يتعلق بها من قضايا التجسيم والتشبيه. يقوم المنهج الإسقاطي على قراءة المفاهيم الإسلامية من خلال مرجعيات مسبقة مستمدة من التجربة الدينية الغربية، خصوصاً الجدل اللاهوتي المسيحي حول التجسد والتشبيه، مما يؤدي إلى تفسير النصوص الإسلامية ضمن أطر غير نابعة من بيئتها العقدية واللغوية الأصلية. كما أنه ليس منسوبا في بدايته إلى أحد بعينه، ولعله يرجع عند جميع الأمم إلى عهود متقدمة جدا لارتباطه بضعف الإرادة الموجود عند كثير من الأفراد في جميع المجتمعات والأمم. ويتناول هذا البحث الكيفية التي أسهم بها هذا المنهج في تفسير نصوص الصفات الإلهية تفسيراً مادياً أو حسيّاً، الأمر الذي أدى إلى ربط بعض الاتجاهات الإسلامية بعقيدة التجسيم والتشبيه، مع إغفال القواعد التأويلية والضوابط الكلامية التي اعتمدها علماء المسلمين في تنزيه الذات الإلهية. ويخلص البحث إلى أن المنهج الإسقاطي الاستشراقي قد أسهم في إنتاج تصورات غير دقيقة عن العقيدة الإسلامية، نتيجة اعتماده على المقارنات غير المنضبطة وإغفال الخصوصية المعرفية للنص الإسلامي، مما يستدعي إعادة قراءة الدراسات الاستشراقية قراءة نقدية علمية تُبرز أصالة المنهج العقدي الإسلامي القائم على التنزيه وإثبات الصفات دون تشبيه أو تجسيم.

الكلمات المفتاحية: المنهج الإسقاطي، الاستشراق، عقيدة التشبيه والتجسيم.

Abstract:

The concept of the projectionist method in Orientalist studies refers to an analytical approach that relies on projecting the Western researcher's intellectual, religious, and cultural backgrounds onto Islamic texts and heritage during interpretation. This method appears clearly in the way some Orientalists address doctrinal issues, especially the topic of divine attributes and the related questions of anthropomorphism and similitude.

The projectionist method is based on reading Islamic concepts through prior reference frameworks derived from Western religious experience, particularly Christian theological debates concerning incarnation and resemblance. This often leads to interpreting Islamic texts within frameworks that do not arise from their original theological and linguistic context. Moreover, this method is not originally attributed to any single individual; rather, it likely dates back across different civilizations to very early periods, as it is connected to a weakness of will found among many individuals in various societies and nations. This study examines how the orientalist projectionist approach contributed to interpreting the texts concerning the divine attributes in a materialistic or sensory manner, which led to associating certain Islamic trends with the doctrine of anthropomorphism and assimilation, while neglecting the hermeneutical principles and theological controls adopted by Muslim scholars in affirming the transcendence of the Divine Essence. The study concludes that the orientalist projectionist approach has contributed to producing inaccurate conceptions of Islamic doctrine due to its reliance on unregulated comparisons and its disregard for the epistemological particularity of the Islamic text. This calls for a renewed critical and scholarly reading of orientalist studies that highlights the authenticity of the Islamic theological methodology, which is founded upon declaring God transcendent while affirming the divine attributes without assimilation or anthropomorphism..

كلية التربية للعلوم الإنسانية
2025 - 1446

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه إلى يوم البعث والدين، وبعد .

يمثل المنهج الإسقاطي الإستشراقي إحدى أبرز آليات البحث التي استخدمها بعض المستشرقين لدراسة الشرق وتاريخه وديانته. كما يقوم هذا المنهج على أساس وهو إسقاط المستشرق لتصوراته وثقافته ومعتقداته وأحكامه المسبقة، وواقعه المعاش على الوقائع التاريخية والظواهر الدينية في الشرق، مما يجعله يرى ذاته ونظرياته بدلاً من رؤية الموضوع المدرس على حقيقته ويعد هذا المنهج في نظر الدارسين والباحثين خلافاً في البحث العلمي الرصين؛ لأنه ينقل البحث من فضاء الحياد والتحليل الموضوعي إلى

فضاء التأويل الموجه , كما أن الأدب الإنجليزي يحتوي على مثل ما يشير إلى هذا الأسلوب , وهكذا فإن من المتوقع ألا يخلو تراث أي أمة من الأمثال التي تشير إلى هذا الأسلوب في الكلام والتعامل .

مشكلة البحث:

كيف ساهم المنهج الإسقاطي الاستشراقي في ترسيخ صورة مغلوبة عن الله في الإسلام من خلال اتهام المسلمين بالتجسيم والتشبيه؟

أهداف البحث:

- 1- تعريف المنهج الإسقاطي وأصوله.
 - 2- استعراض نماذج استشراقية تطبق هذا المنهج.
 - 3- بيان أثر ذلك على عقيدة التجسيم والتشبيه.
 - 4- تقديم الرد الإسلامي المنهجي.
- منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، مع الرجوع إلى مصادر استشراقية أصلية وكتب العقيدة الإسلامية . وقد جاءت خطة البحث مقسمة بالشكل الآتي:

المبحث الأول: تعريفات لغوية واصطلاحية .

المطلب الأول: تعريف المنهج الإسقاطي الإستشراقي.

1- تعريف المنهج .

2- تعريف الإسقاط .

3- تعريف الإستشراق

4- تعريف المنهج الإسقاطي الاستشراقي باعتباره إسماً مركباً .

المطلب الثاني : أصول المنهج الإستشراقي .

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية للمنهج الإسقاطي .

المبحث الثاني: أثر المنهج الإسقاطي على عقيدة التجسيم والتشبيه .

المطلب الأول: تعريف معنى التجسيم والتشبيه لغة وفي الاصطلاح الاسلامي .

المطلب الثاني: الآثار العقدية لمنهج الإسقاط على عقيدة التجسيم والتشبيه.

المطلب الثالث: الرد العلمي على المنهج الإسقاطي في الدراسات الاستشراقية.

أولاً: مناهج علماء المسلمين المعتمدة في الصفات الالهية .

ثانياً: نقد المنهج الإسقاطي الاستشراقي .

المبحث الأول

تعريفات لغوية واصطلاحية

المطلب الأول: تعريف المنهج الإسقاطي الإستشراقي.

أولاً: تعريف المنهج في اللغة والإصطلاح.

1- المنهج في اللغة: الطريق الواضح، وكذلك المنهجُ والمنهَجُ. وأَنْهَجَ الطريقُ، أي استبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيِّنًا. (الجوهري، 1987م)

2- المنهج في الإصطلاح: الطريقة المنظمة التي يسلكها الباحث في دراسة موضوعٍ ما؛ للكشف عن الحقيقة، مستعيناً بقواعد ومبادئ تضبط تفكيره وخطواته، حتى يصل إلى نتائج دقيقة يمكن التحقق منها. (بدوي، 1963م)

ثانياً: الإسقاط في اللغة والإصطلاح.

1- الإسقاط في اللغة: السين والقاف والطاء أصل واحد يدل على الوقوع، وهو مطرد. من ذلك سقط الشيء يسقط سقوطاً. والسقط: رديء المتاع. والسقاط والسقوط: الخطأ من القول والفعل، والإسقاط يدل على الإلقاء. (بن فارس، 1979م)

2- الإسقاط في الاصطلاح: إسقاط الواقع المعيش على الحوادث والوقائع التاريخية، إنه تصور الذات في الحدث، أو الواقعة التاريخية. (عزوزي)

ثالثاً: الإستشراق في اللغة والإصطلاح.

1- الإستشراق في اللغة: مأخوذ من مادة (شَرَقَ)، وهي الجهة التي تشرق منها الشمس. يُقال: استشرق الشيء أي اتجه نحو المشرق أو طلب معرفة المشرق. (المنظور، 1414هـ)

2- الإستشراق في الإصطلاح: الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام. (زقزوق، 1997م)

رابعاً: تعريف المنهج الإسقاطي الإستشراقي باعتباره إسماءً مركباً: هو الاسلوب البحثي الذي يقوم فيه المستشرق أو الباحث الغربي ب إسقاط أحكامه وقناعاته الذاتية (الثقافية، الدينية، الفلسفية) على موضوع البحث. أي على «الشرق» أو الإسلام أو الثقافة الشرقية. بدلاً من التعامل مع الموضوع بموضوعية محققة.

بمعنى آخر: بدل أن يُسعى لفهم الموضوع كما هو في سياقه، يقوم الباحث بنقل تجربته أو تصوّره الخاص أو قيمه المسبقة على ما يدرسه، فيغيّر الموضوع أو يُزيّفه حسب تلك القناعات. (حنفي،

1992م)

المطلب الثاني : اصول المنهج الإسقاطي الإستشراقي .

فقد عد بعض المهتمين بالدراسات الاستشراقية عملية الإسقاط منهجاً معتمداً لدى بعض الدارسين الغربيين للعلوم الإسلامية، والحقيقة أن هذا المنهج منهج نفسي، لا يمكن التحرر منه إلا بالتقيد الجازم بالمنهج العلمي السليم والأمانة العلمية الحقة، ولهذا السبب فهو منهج مدموم، من جهة، ولا يحبذ الواقع فيه بقصد أو بغير قصد الإعلان عن استعماله من جهة أخرى، كما أنه ليس منسوبا في بدايته إلى أحد بعينه، ولعلّه يرجع عند جميع الأمم إلى عهود متقدمة جدا لارتباطه بضعف الإرادة الموجود عند كثير من الأفراد في جميع المجتمعات والأمم . (خليل، 1998م)

ويتمثل هذا المنهج في خضوع الباحث الى هواه وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها عليه بيئته الثقافية وعدم تجرده من الاحكام المسبقة المتعلقة بموضوع بحثه، وهو يعني تفسير التاريخ بإسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في اعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة، وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم، وهم بذلك يحاولون اثبات الصور المرسومة، والمفاهيم العالقة في اذهانهم حتى وان استحال وقوعها وينفون الحقائق الواقعة التي لاتصورها أذهانهم. (الاشرف، 2008م)

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية للمنهج الإسقاطي الاستشراقي .

لقد مارس المستشرقون عملية الإسقاط متأثرين بخلفياتهم العقدية وموروثاتهم الفكرية ومندفعين بدافع نفسي يهدف إلى رمي الدين الإسلامي عقيدة وشريعة، قرآناً وسنةً، بما ثبت في حق كتبهم المقدسة ودياناتهم المحرفة، ومحاولين بذلك الانتقاص من قدر هذا الدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه، والذي لا محالة يشهد له في كل عصر شهود جدد بأنه الدين الحق . ولقد كان للمستشرق جولدتسيهر قصب السبق في تحريف مدلولات القرآن الكريم عن الله تعالى بإسقاط المفاهيم اليهودية والنصرانية على هذه المدلولات والتي لا تتفق والعقيدة الإسلامية، ومن ذلك (جولدتسيهر، 2013)، (المظاهري) إسقاطه لمفهوم التجسد الإلهي عند اليهود والنصارى⁽¹⁾ (والنحل، 1975م)، (عريبي) على

(¹) مسألة التجسد مسألة فلسفية بالدرجة الأولى؛ لأن التجسد يعني الاتحاد بين الجوهر الإلهي والجوهر المادي في المصطلح الفلسفي، وهو الذي يعبر عنه النصارى بـ (حلول اللاهوت في الناسوت) عند زعمهم اتحاد الله سبحانه وتعالى بجسد المولود الذي ولدته السيدة مريم بنت عمران (عليها السلام) حتى خرج عيسى (عليه السلام) متحداً مع الله تعالى في جسد بشري - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والتجسد معناه: هو ان ينسب الى الله تعالى اي صفة مادية او جسمية مثل: الحجم والمكان والحدود، وهذه من المعتقدات الباطلة في الاسلام. وعند اليهود يأخذ أشكالاً وحالات كثيرة، منها زعمهم حلول الإله في جسد عُزير، وظهور الإله أمام البشر في جسد

التمثيل القرآني لنور الله سبحانه وتعالى بنور المصباح في مشكاة في قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَمَشْكُوتَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

(سورة النور الآية 35) وهذا الإسقاط تابع من جهل المستشرق بالأساليب البلاغية في اللغة العربية والتي منها التشبيهية⁽²⁾ (العقل، 2016م). "وذلك المثل الذي ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أثار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين - مثل مشكاة؛ وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة؛ لأنه غير نافذ وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: (فيها مصباح). وهو السراج، وجعل السراج، وهو المصباح، مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات. ثم قال: (المصباح في زجاجة). يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل، وهو الزجاج، وذلك مثل للقرآن. يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله به قلبه في صدره. ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها - بالكوكب الدري، فقال: الزجاج. وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه (كأنها كوكب دري)". (الطبري، 2001م) فهو سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (سورة الشورى من الآية 11). وقد خضع المستشرق جاك بيرك (Jacques Berque)⁽³⁾ (العقيقي، 1964م). أيضاً لعقيدة التجسيد وأسقط مفهومها على قوله تعالى: (فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (سورة البقرة من الآية 54). مفسراً إياها كالتالي: فالله هو الذي تاب بدلاً منكم لأنه يميل إلى التوبة. (المحسن، 1422هـ). كما قام المستشرق كراتشكوفسكي (Kratchkovski)⁽⁴⁾ (العقيقي، 1964م). بنهج المنهج نفسه في إسقاطة لمفهوم التجسيم والتشبيه في ترجمته لسورة الناس قال تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ

إنساني كما ظهر أمام آدم (عليه السلام) ومنها وصف الله تعالى بأوصاف بشرية تحمل دلالات الضعف الإنسانية من التعب والخوف سبحانه وتعالى عن كل ذلك.

(2) التشبيه هو: وهو أن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق، كقول القائل: إن يدي الله كأيدي المخلوقين، أو نزوله كنزوله، ونحو ذلك.

(3) مستشرق فرنسي ولد في العقد الثاني من القرن العشرين، ونزل بالمغرب لاكمال دراسته في علم الاجتماع، وعمل في مصر ولبنان، تخلى عن سيرته التعليمية، وعاد للعيش في الجزائر سنة 1934م.

(4) مستشرق روسي التحق بقسم اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج، ثم طاف ببلاد الشام ومصر متردداً على خزائن كتبها، انتخب عضواً في المجمع العربي بدمشق، والمجمع العلمي في إيران.

آلنَّاسِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ) (سورة الناس). حيث ترجمها بالشكل الآتي: أعوذ بإله الناس الذي يختبئ من شر الوسواس الذي يوسوس صدور الناس. (المحسن، 1422هـ)
إن استخدام هذا المنهج المنحرف من قبل المستشرقين يرجع في أساسه الى عقائدهم المحرفة التي تتنافى مع قدسية الله تعالى، فتارة تجد في عقائدهم الفاسدة، أن الله يغضب، وتارة تجد أن الناس فعلوا الشر في أعين الرب، وأصبح الرب لايتورع عن مصارعة أحد أفراد البشر، ويغضب، ويفار، وغير ذلك من الصفات البشرية التي نسبوها إلى الله تعالى. (الزين، 2025م)

University of Al-Haririya



كلية التربية للعلوم الإنسانية

2025 - 1446

College of Education for Humanities

مجلة الحمدانية للدراسات الإنسانية

المبحث الثاني

أثر المنهج الإسقاطي على عقيدة التجسيم والتشبيه

المطلب الأول: تعريف معنى التجسيم والتشبيه لغة وفي الاصطلاح الإسلامي .

أولاً: معنى التجسيم: في اللغة مأخوذ من مادة (جسم) الجيم والسين والميم يدل على تجمع الشيء، فالجسم كل شيء مدرك . (بن فارس، 1979م). والجسم بالكسر: جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وسائر الأنواع العظيمة الخلق. (الزبيدي، 1965م). وأما تعريفه الاصطلاحي الإسلامي فمعناه: هو إضفاء صفات مادية وجسمانية على الذات الإلهية كالكقول: بأن الله له أعضاء وأنه على صورة الإنسان أو أن له نهاية وحدود . (التميمي، 2002م)

ثانياً: معنى التشبيه: مأخوذ من مادة (شبه) الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا. يقال شبه وشبه وشبيه. (بن فارس، 1979م) وأما التشبيه في المعنى الإسلامي فهو: تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا له يد كيدي، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (بن فارس، 1979م) . والاساس الذي يقوم عليه التشبيه هو المماثلة بين الخالق والمخلوق ، في الذات أو الصفات أو الافعال . (العقيقي، 1964م)

المطلب الثاني: الآثار العقدية لمنهج الإسقاط على عقيدة التجسيم والتشبيه .

المنهج الإسقاطي هو أخذ تصور ما من أصل أو من بيئة أو من ظاهرة ما ثم إيقاعه على فرع أو على بيئة أخرى أو على ظاهرة مقصودة دراستها، وفي هذه الحالة تكون الذاتية مصدرًا لحدس وأساسًا لرؤية تتجه نحو الموضوع وتنبهه، وتشترب أن تكون الذاتية خالصة متجردة من أي هوى أو مصلحة، وأوضح مثال في تراثنا الإسلامي: علم أصول الفقه عندما يقوم النص الذي يحتوي على الأصل بتوجيه الشعور نحو العلة المشتركة مع الفرع من أجل تعديده حكم الأصل إلى الفرع، فالقياس الشرعي يبدأ بتوجيه النص نحو الواقع من أجل رؤيته. والضامن هنا لموضوعية الذاتية هو أنها تعتمد على الوحي باعتباره حقيقة موضوعية مستقلة، وأما المنهج الإسقاطي الذي طبقه المستشرقون على العقيدة الإسلامية، فهو استبدال ظاهرة مدروسة بظواهر أخرى هي أشكال أبنية النظرية الموجودة في ذهن المستشرق فإنه يحكم عليها بالنفي، والظاهرة التي لا وجود لها بالفعل، ولكنها توجد كصورة ذهنية عند المستشرق فإنه يحكم عليها بالوجود الفعلي، فالإسقاط الاستشراقي إذًا خطأ في الإدراك يجعل المستشرق في عزلة ذهنية ويضعه في موقف نرجسي خالص عندما لا يرى في العالم الخارجي من موضوعات إلا ما هو موجود في

نفسه كصورة ذهنية، وقد استخدم هذا المنهج كثير من المستشرقين "فيعينون لهم غاية يقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق ثم يقومون لها بجمع معلومات من كل رطب ويابس ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ أو الأدب والشعر أو الرواية والقصص أو المُجُون والفُكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة. (حنفي، 1992م)، (هندي، ٢٠٠٣ م). ويحاول الكثير من المستشرقين أن يسبغ ما يراه وما يعتقد على المسلمين دون فهم للإسلام وحقيقة الإسلام، فالمستشرق إما أن يكون ملحدًا أو يهوديًا أو نصرانيًا، فهم لا يعرضون آراء القرآن الكريم كما هي موجودة في عقول المسلمين وإنما يستعرضونها من خلال فهمهم هم لتلك المواضيع، ولذلك نشأت من تلك الغايات إتهام التوحيد الإسلامي بأنه تجريدي خالص لا يمكن فهمه ولا يقاد إليه الذهن ابتداء من رموز حسية، وهذا إسقاط من ذهن المستشرق المسيحي والحكم على التنويه بالتجريد إسقاطا من التجسيم والتشبيه الذي تعود عليه، ولذلك عندما يؤيد التصور القائم على التجسيم والتأليه على التصور القائم على التنزيه الخالص فإنه إنما يسقط من نفسه مقياس الاختيار، وهو المقياس المسيحي العقائدي، وقد نشأ المستشرق في بيئة كهنوتية وينتسب إلى دين كهنوتي فكل ثورة ضد الكهنوت الدخيل على عقليتنا المعاصرة يكون علمانية، كما تعود على تصور أن الله متجسد فكل رفض لهذا التصور لله يعتبره إلحادًا. (الساموك، 2010م)، (حنفي، 1992م)

المطلب الثالث: الرد العلمي على المنهج الإسقاطي في الدراسات الاستشراقية.

يُشير العديد من الباحثين إلى أن المنهج الإسقاطي غالبًا ما يعتمد على تفسير مادي سلبي للأحداث والتاريخ، ويتجاهل القيم السامية والدوافع الدينية والحضارية الحقيقية للأحداث، كما يجب التأكيد على أن جميع المستشرقين لا يتبعون نفس المنهج، وأن الاستشراق كحركة تاريخية لا تهدف بالضرورة لإلحاق الضرر بالإسلام أو بالمسلمين. وللدرد على المنهج الإسقاطي الاستشراقي يتطلب منهجا علميا سليما يعتمد على المصادر الموثوقة وتفنيد التفسيرات المادية والأحكام المسبقة، وتوضيح السياق الأصيل للأحداث التاريخية بدلاً من إسقاط مفاهيم الواقع المعاصر عليها. ولذلك جاءت طريقة الرد بالشكل الآتي:

أولاً: مناهج علماء المسلمين المعتمدة في الصفات الإلهية.

منها قول الإمام أبو الحسن الأشعري (رحمه الله) في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة): "الحمد لله الواحد الأحد الواجد العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد، والتمجد بالتمجيد، الذي لا تَبْلُغُهُ صفاتُ العبيد، وليس له مثل ولا نديد، وهو المبيد المعيد، الفَعَّالُ لما يريد. جلَّ عن اتخاذ الصواحب والأولاد وتقدس

عن (ملابسة الأجناس⁽⁵⁾). (المنظور، 1414هـ). فليست له صورة تقال، ولا حدٌ ولا غاية ولا نهاية". (الاشعري، 2011م)

وأنة تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان، وهو ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذ بطل كونه جوهرًا مخصوصًا بحيز بطل كونه جسمًا لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهينة والمقدار، وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسمًا من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الإصابة في نفي معنى الجسم. (الغزالي، 1985م)

ثانياً: نقد المنهج الإسقاطي الإستشراقي .

إنه من الخطورة بمكان أن تتحكّم الدوافع المسبقة القائمة على التعصب، أو العمل لتحقيق انتصار كل ما هو غربي على غيره، إذ إنّ التعصب، أو الاعتماد على الأهواء يقضي على الناحية العلمية لأي دراسة كانت وهذا ما تعاني منه الدراسات الاستشراقية غالبا ! لا شك أن للمنهج أثرًا كبيرًا في إثراء الدرس العلمي، إذ إنّ فهم أي علم يتوقف على مدى التوظيف المنهجي، لقد اعتمد بعض المستشرقين في دراساتهم للإسلام عقيدة وشريعة على منهج الإسقاط متأثرين بخلفياتهم العقيدية، وموروثاتهم الفكرية، ومندفعين بدافع نفسي يهدف إلى إسقاط بما ثبت في حق عقائدهم المحرفة على العقيدة الاسلامية. ويعتقد البعض أن عملية الإسقاط عملية لاشعورية يقوم بها الشخص نتيجة مشكلة نفسية أو نقص يشعر به، أو ضعف يعوضه بالإسقاط. (الزين، 2025م)

ولقد استخدم علماء المسلمين مناهج نقدية صارمة للرد على المنهج الإسقاطي الإستشراقي، حيث كشفوا أن إسقاط المستشرقين لعيوبهم ونظراتهم الذاتية على الاسلام عقيدة وشريعة يتنافى مع مبادئ البحث العلمي الصحيح، وتمثلت أعمالهم في رد الشبهات وتفنيدها المغالطات عبر التحليل المقارن والنقد المنهجي، وإن المنهجية العلمية السليمة وما يتبعها من أمانة في النقل وموضوعية في الطرح ليست خصوصية إسلامية بحكم أنّ الإسلام دين الأمانة والإنصاف، بل هي وازع فطري ومطلب عقلي كامن في النفوس السوية مهما كان دينها أو عرقها أو مكانها أو زمانها، ويمكن للعقل السليم والضمير الحي أن يدرك حسن أو قبح كثير من الأشياء من عالم الشهادة وبالخصوص إذا ما ساعدت التجربة والخبرة على ذلك،

(⁵) الأجناس: الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة. والجنس أعم من النوع، منه المجانسة والتجنيس. ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله، وفلان يجانس الهائم ولا يجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولا عقل.

والملاحظ أن بعض مناهج المستشرقين المستخدمة في ميدان الدراسات الإسلامية ولا نقول الكل حتى لا نعمم وهذا من باب الانصاف، لم تعد تؤدي إلى نتائج نرتضيها والسبب في ذلك يرجع في خضوع الباحث إلى هواه، وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها لديه بيئته الثقافية المعنية، وعدم تحرره من الأحكام المسبقة التي يكوّنونها على موضوع بحثه سواء أكانت هذه الأحكام عقلية أم انفعالية. ولا يرى الباحث إلا صورته الذهنية دون غيرها من الصور الفكرية التي ربما تخالف أحكامه المسبقة ويحاول جاهداً إخضاع جميع الصور الأخرى إلى ما ارتضاه لنفسه حتى وإن جانبت الموضوعية العلمية. فالباحث عندما يضع في ذهنه صورة معينة لأفكار معينة وهذه الأفكار لا وجود لها من الناحية الفعلية فإنه يحاول إيجادها في ذهنه ويلتمس لها الحلول والفروض مهما كانت متنتفية. وإذا كانت الظاهرة الفكرية موجودة فعلاً ولكن لا تصور لها في ذهنه فإنه يحاول نفيها مهما كانت صحة وجودها. (الحاج، 2002م). (الزين، 2025م)

طبق المستشرقون المنهج الإسقاطي على الدراسات الإسلامية، ووصلوا بتطبيقه إلى أحكام تعسفية لا صلة لها بالتحليل العلمي السليم وطوعوا هذه الصور الذهنية الكامنة في عقولهم سلباً وإيجاباً في الدراسات الإسلامية. وبما أن هذا المنهج يخضع لهوى الباحث وأحكامه المسبقة فإن النتائج المرجوة منه لا تكون صائبة في أغلب الأحيان. ذلك أن المستشرق وهو في حقيقة الحال نتاج بيئته وإيمانه الشديد بثقافته ومنهجه باعتبارها النموذج الأمثل لكل الثقافات والمناهج، ينظر إلى سائر الظواهر الأخرى التي يخضعها للدراسة من علي، ولا يضعها على نفس المستوى لثقافته ومنهجه فيسهل عليه عملية الإسقاط التي يمارسها من خلال نظرتة الاستعلائية فتأتي أحكامه جائزة ومنافية للحياد العلمي الصحيح. (الحاج، 2002م)

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث، تبين أن المنهج الإسقاطي الاستشراقي لم يكن مجرد وسيلة لدراسة التراث الإسلامي أو تفسير النصوص الدينية، بل تعدى ذلك إلى محاولة فرض الرؤى الغربية على المفاهيم العقيدية الإسلامية. ومن أبرز ما تأثر به هذا المنهج مسألة عقيدة الجسم والتنبيه، حيث سعى المستشرقون إلى تصويرها في إطار مادي محض، بجانب مقصد الشرع، وبهمش بعدها الروحي والتنزيهي. لقد أظهرت الدراسة أن هذا المنهج القائم على الإسقاط المعرفي والثقافي يحمل في جوهره نزعة تفكيكية تحاول نقل مفاهيم الإيمان إلى مجال التجسيم المادي، وهو ما يؤدي إلى خلل في فهم مقاصد العقيدة الإسلامية. ومن ثم، فإن التنبيه على خطورة هذا المنهج يعد ضرورة علمية ومنهجية؛ لصيانة الفكر الإسلامي من التحريف والتأثير الخارجي.

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن المواجهة العلمية الرصينة لهذه الطرق الاستشراقية لا تتحقق إلا بالعودة إلى الأصول العقدية الصافية، واستحضار منطق النص الشرعي ومناهج العلماء المحققين، مع تأصيل الفهم العقلي في إطار الإيمان والتنزيه. وهذا ما يكفل للفكر الإسلامي أن يبقى نقيًا، متسقًا مع ذاته، قادرًا على التجديد دون تفريط ولا تغريب.

من أهم النتائج التي توصلت إليها هو الآتي:

1. الإسقاط هو تصور الذات في الحدث ، أو الواقعة التاريخية .
2. المنهج الإسقاطي الإستشراقي باعتباره إسمًا مركبًا: هو الاسلوب البحثي الذي يقوم فيه المستشرق أو الباحث الغربي بإسقاط أحكامه وقناعاته الذاتية (الثقافية، الدينية، الفلسفية) على موضوع البحث . أي على «الشرق» أو الإسلام أو الثقافة الشرقية . بدلاً من التعامل مع الموضوع بموضوعية محققة .
3. يتمثل هذا المنهج في خضوع الباحث الى هواه وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها عليه بيئته الثقافية وعدم تجرده من الاحكام المسبقة المتعلقة بموضوع بحثه .
4. لقد كان للمستشرق جولدتسهر قصب السبق في تحريف مدلولات القرآن الكريم عن الله تعالى بإسقاط المفاهيم اليهودية والنصرانية على هذه المدلولات والتي لا تتفق والعقيدة الإسلامية .
5. أثره المباشر: تشويه عقيدة التنزيه وترسيخ التجسيم.

كلية التربية للعلوم الإنسانية

2025 - 1446

College of Education for Humanities

المصادر والمراجع:

- ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري. (2011م). الابانة عن اصول الديانة (المجلد 1). الرياض، السعودية: دار الفضيلة.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (2001م). تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المجلد 1). القاهرة، مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. (1985م). قواعد العقائد (المجلد 2). لبنان: عالم الكتاب.
- أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري. (1987م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (المجلد 4). (احمد عبد الغفور العطار، المحرر) بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- احمد بن فارس بن زكريا بن فارس. (1979م). معجم مقاييس اللغة (المجلد 2). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة، مصر: دار الفكر.
- الملل والنحل. (1975م). ابي الفتح محمد بن بد الكريم الشهرستاني (المجلد 2). (محمد سيد كيلاني، المحرر) بيروت، لبنان: دار المعرفة.
- ايجانس جولدتسبير. (2013). العقيدة والشريعة في الاسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الاسلامي. (المركز القومي للترجمة، المترجمون) القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
- جوادي محمد نجيب. (2022م). مشكلة التشبيه والتجسيم بين الفرق الاسلامية. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية.
- حسن حنفي. (1992م). التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم (المجلد 4). بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية.
- حسن عزوزي. (بلا تاريخ). مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القران الكريم.
- سامي سالم الحاج. (2002م). نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية واثرها في الدراسات الاسلامية (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار المدار الاسلامي.
- سعدون الساموك. (2010م). الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية (المجلد 1). عمان، الاردن: دار المناهج.
- سعيد أحمد بن صغير أحمد هندي. (٢٠٠٣م). أثر الاستشراق على المنهج العقدي الإسلامي بالهند. المدينة المنورة، السعودية.
- سورة البقرة من الاية 54.
- سورة الشورى من الاية 11.
- سورة الناس.
- سورة النور الاية 35.
- شوقي ابو خليل. (1998م). الاسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الفكر المعاصر.

- صالح حسن الاشرف. (2008م). الاستشراق مفهومه واثاره. مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، عبد الراضي محمد عبد المحسن. (1422هـ). مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم. عبد الرحمن بدوي. (1963م). مناهج البحث العلمي. دار النهضة العربية.
- عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل. (2016م). بدر التمام شرح لامية شيخ الاسلام (المجلد 2). القصيم، السعودية: مركز النخب العلمية.
- لبنان حسين الزين. (2025م). مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم (مناهج التشكيك والاسقاط والانتقاء). مجلة دراسات استشرافية.
- محمد بن خليفة بن علي التميمي. (2002م). مواقف الطوائف من توحيد الاسماء والصفات (المجلد 1). الرياض: اضاء السلف.
- محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الانصاري المنظور. (1414هـ). لسان العرب (المجلد 3). بيروت، لبنان: دار صادر.
- محمد عامر عبد الحميد المظاهري. (بلا تاريخ). منهج الاسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين. محمد مرتضى الزبيدي. (1965م). تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت، الكويت: دار الهداية.
- محمود حمدي زقزوق. (1997م). الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. القاهرة، مصر: دار المعارف. مناضل محمد عريبي. (بلا تاريخ). الادلة العقلية والنقلية في نفي التجسيم. مجلة التعليم للدراسات التخصصية الحديثة.
- نبيل زياني. (24, 5, 2020م). إسقاطات المستشرقين والحداثيين في كتابة السيرة النبوية دراسة نقدية. الابراهيمي للاداب والعلوم الانسانية.
- نجيب العقيقي. (1964م). المستشرقون (المجلد 3). القاهرة، مصر: دار المعارف.

2025 - 1446

College of Education for Humanities

مجلة الحمدانية للدراسات الانسانية